

معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)10.54239 /2319-021-002-004

## النشاط النسوي المصاحب للعمليات العسكرية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

Feminist activity accompanying the military operations of the  
Messenger of Allah, may Allah bless him and his family and grant  
them peace

د. عمارة سيدي محمد\*

جامعة الجيلالي اليابس- سيدي بلعباس / الجزائر

amara.mohamed1982@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/08/18 تاريخ المراجعة: 2022/08/30 تاريخ القبول: 2022/11/16

### الملخص:

إنّ القراءة في المصادر الأصيلة التي اعتنت بحياة رسول الله عليه الصلاة والسلام مهمة جدا، لأنها تكشف تفاصيل بشريّة النبيّ عليه الصلاة والسلام وسط بيته ومجتمعه. ومعلوم الأهمية التي تكتسبها معرفة السيرة النبوية لكل مسلم يبحث عن المال والقدوة لتحقيق السعادة. وحيث أنّ المرأة هي عماد المجتمع في كل عصر، فإنّها لم تكن بمعزل عن مجريات الدعوة الإسلامية زمن النبوة بمختلف أطوارها: المكية والمدنية؛ ضعفاً وقوة، ولم تكن منبوذة كما كانت قبله، وكما يُخيله الكثيرون اليوم من كونها مظلومة ومضطهدة في تعاليم الإسلام وممارسات الواقع. ويأتي هذا المقال للبحث عن مكانة المرأة زمن النبوة في الحرب، وتوضيح طبيعة نشاطهن الذي أدينه اختياراً في الحروب التي خاضها النبي عليه الصلاة والسلام ومعه المسلمون دفاعاً عن دينهم وعرضهم وقضيتهم العادلة. وقد سجّل التاريخ الأدوار التي قامت بها النساء زمن النبوة في الحروب، وأنّها دافعت عن دينها ونيّها عليه الصلاة والسلام دون تردد أو كلل.

\* د. عمارة سيدي محمد، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس.



الكلمات المفتاحية: النساء؛ النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ الحرب؛ الدعوة؛ الجهاد؛ الصبر؛ التربية؛ الجنة.

### Abstract :

Reading in the original sources that took care of the life of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, is very important, because it reveals the prophetic life, and it is the sane person who seeks happiness to read and apply it. Since women are the mainstay of society in every age, they were not isolated from the course of the Islamic call at the time of the prophecy in its various phases . and it was not ostracized as it was before it. This article comes to search for the position of women at the time of the Prophet in war, and to clarify the nature of their activity.

**Keywords :** Women; the Prophet; the war; the invitation; Struggle; patience; Education ; the Paradise

### - مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد. فلقد عرفت البشرية صفحات المعاناة، وعاينت المآسي وشاهدتها منذ أن شاء قدر الله تعالى بنزول الأبوين آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام، ومعهما عدوهما الأبدى الشيطان إلى الأرض. ثم أرسل الله تعالى رسله توالياً يدعون إلى دينه، ويتلطفون مع الخلق بالموعظة الحسنة، والمجادلة بالحكمة، فقامت سوق الجنة والنار، وانتخب الله لكل رسول حواريه ومرافقيه الذين يقولون بالحق وبه يعدلون، وفي الطرف الآخر أعداء ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (سورة: الأنعام: الآية: 113)، حتى إذا نفذت سبل السلم، وسلت الأعداء سيوف الباطل، تجرد أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام لنداء الحق ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (سورة: المائدة: الآية: 56)، ولنا في خاتمهم صلى الله عليه وآله وسلم القدوة النيرة، والسيرة الخيرة، وقد أخيف في الله وعودي بين قومه وأرضه، وتعرض للحصار والتجويع، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد". وأخبر مالك ابن دينار يصف شدة شظف عيشه صلى الله عليه وآله



وسلم، فيقول: " ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خُبزٍ قط، ولا لحمٍ إلاً على ضَفَفٍ". (الترمذي محمد، 2001: 637)

لكنَّ ذلك لم يكن ليصدَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مواصلة الدعوة إلى الله، وتخليص النَّاس من ظلام الجهل، وضلال النَّفس وفجورها. فلم يزل الإسلام يدخل القلوب والدور انتشاراً لا يرده كيد أو اعتداءً، أو افتراءً عليه، ونبزه بالعنف والسيف لتناقض هذه الدعوى مع صريح الآية الكريمة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. (سورة: البقرة: الآية: 254)، بل كان بالدعوة والنصح والإرشاد، والنقاش الهادئ الهادف، من هنا يتبين أنَّ الإسلام وجد طريقه إلى القلوب وخالطت بشاشته النَّفوس عن طريق الحجة والإقناع. " أضف إلى ذلك أنَّ النَّفوس كانت تتطلع منذ مسهل القرن السابع الميلادي إلى مصلح جديد، فقد تطرق الفساد إلى جميع نواحي الحياة". (حسن إبراهيم حسن، 1996، ج 1: 88-89).

و إشكالية الموضوع البحث عن النماذج التي حفظها لنا تاريخ السيرة النبوية عن النشاط النسوي الحقيقي، فماهي الأدوار التي أدتها النساء في صدر الإسلام عندما اشتعلت المعارك والحروب الضروس؟. وكيف أثرت هذه الحركة النسوية الحقيقية على نتائج العمليات العسكرية؟. وما هي المواقف التي سجَّلتها التاريخ لنساء بيت النبوة، وبيوت الصحابة رضي الله عنهم في الدفاع عن دينهم ونبههم في ساحات القتال؟ ويتفرَّع عن ذلك أسئلة مهمة حول كيف عامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم نساء مجتمعه زمن الحرب؟ أكنَّ في ظلِّ رجالهن منبذات؟ أكنَّ على هامش التحديات مراقبات؟ أم كُنَّ الناصرات المنجذات بموافقته ورضاه عليه الصلاة والسلام؟، هل حفظ التاريخ مشاركة نسوية حقيقية في القتال المباشر؟ وكيف كُنَّ يعتنين بالمخزون الأساسي للمقاتلين عقيدةً وطُعمَةً، طباً وسِقاءً؟ خصوصاً وأنَّ "تكريم المرأة هو أهم ما نادى به الإسلام لإصلاح الأسرة التي كانت قبله تتخبط في الظلام، ليس في جزيرة العرب وحدها، بل في دول الحضارة قاطبة آنذاك...". (صبيحي الصالح، 1978: 347). ولا ضير أن نتوقف عند بعض العناوين التي تناولت قضية النشاط النسوي زمن النبوة على غرار:

- المرأة في العهد النبوي بقلم عصمة الدين كركر



- المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف والعصر الحاضر لأحمد العطاوي  
 - «الدور الحضاري للمرأة المسلمة في العهد النبوي والراشدي» بقلم حصة العتيبي.  
 - حقوق المرأة في القرآن الكريم بين العدل الإلهي وغُبن المجتمع بقلم حسن مدني  
 ولا يمكننا في الحقيقة أن نمرَّ مرور الكرام على الدعوات التي ظهرت في غفلة  
 وفوضى ثم تأسّلت، وصارت عند أهلها حقاً لا مرية فيه، موضوعها الشاغل، وشعارها  
 المتواصل تكريسُ ظلم الإسلام للمرأة!، وتهميش دورها المهم. حيثُ تجتهد التُّهم دوماً إلى  
 جناب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصدق هو إذ يقول: "إِنَّهَا ستأتي على الناس  
 سنون خداعة، يُصدِّقُ فيها الكاذب، ويُكذِّبُ فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخونُ  
 فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة. قيل: وما الرويضة يا رسول الله؟ قال: السفية يتكلم  
 في أمر العامة". (ابن حنبل أحمد، 2001، ج13: 291)

لاشك أن دُعاة النسوية المزيفون الجاهلون بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 الحقّة سيُخرجهم أخبار النِّساء الصالحات المتسترات في هذه السطور، وكيف أن هؤلاء  
 العفيفات وعلى رأسهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أذنين أدواراً جبّارة يومئذ في  
 المواجهات الدامية مع العدو الكافر، ومرافقة الجيش المقاتل في زمن حوصر المسلمون  
 فيه، وحرص كلُّ على الإصابة منهم ومن دينهم ونبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.  
 ولقد اطّلع نساء الجنة بالمسؤوليات المباشرة وغير المباشرة ابتداءً وتخطيطاً؛  
 وانتهاءً وتقديراً، حتّى إذا أخذت الحرب شُعلتها، وسرت على غير هدى تحرق وتخرق، لا  
 تُفرِّق بين رجل وامرأة، حينها نرى أولئك النسوة من حيث لم تدر إحداهنّ مدفوعة لحمل  
 السلاح دفاعاً ونصرة لدينها ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم. والحقيقة أن تتبع هذه  
 القصص وما حوته من نماذج ناجحة لنساء الرعيل الأول يُثير الدهشة، وهم الذين " لم  
 يكونوا - غالب الوقت - في سعةٍ من أمرهم لعبادة ربهم ". ( عمارة سيدي محمد، 2022:  
 110)، فلمّا جدَّ الجدُّ برزت قوة العزيمة، وأسفرت عن الصبر، والجدل في الجهاد الأكبر،  
 حتى كُنَّ لا يتأففن من رؤية دماء الأهل تُسفك، ورؤوس أحبة تُقطع تحت بارقة السيوف!  
 فهل يعرفُ دعاة الحركات النسوية في عالمنا العربي والإسلامي خبر أمّ عمارة  
 البطلة التي دافعت عن شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة أحد حين أُطبق  
 عليه المشركون والإصابات البليغة التي لحقتها؟ هل قرأن عن الحارسة الأمينة للمدينة



عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي قتلت الجاسوس اليهودي؟. إنَّ الأخبار التي نسوقها اليوم متشرفين لتنبئك عن تسوية النبي صلى الله عليه وسلم بين الرجل والمرأة في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله حسب الطاقة. إذ لم يفرض الإسلام على المرأة القتال، وقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " يا رسول الله، هل على النساء من جهاد؟. قال: نعم، عليهنَّ جهادٌ لا قتال فيه: الحج والعمرة ". ( ابن حنبل أحمد، 2001، ج 42: 198). فهل ستقف إحدى الناشطات النسويات اليوم تقاتل في الصف إن دُعيت للمساواة! أم تتركب الموجة المعتادة فتندد وتهدد، وشعارها ليست المرأة سلعة!، فإن دُعيت إلى بيتها وسترها ثارت كرة أخرى بشعار الحرية والانطلاق والمساواة... فسيحان الله!.

ولقد اتبعتُ في البحث المنهج التاريخي عند ذكر الأحداث موثقة، والاستقرائي لفهم واستنتاج طبيعة المشاركة النسوية التي تنوعت بين المشاركة الحقيقية وبين تقديم الدعم للإسلام من خلال تربية الأولاد على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه، وبين الخدمات الطبيّة والمدنية. كما أتت قسمت بحثي هذا إلى مقدمة ومباحث، وبكل مبحث مطالب وخاتمة.

دعونا نستعرض فصولاً مُيسرةً، وأخباراً مُحبّرةً لنشاط النساء زمن الحروب الدامية، والمواجهات الحامية، وما ذاك إلا لتلمس عدل الإسلام معهن، فهنَّ الأمهات الصاحبات. صحيح أنهنَّ الرقيقات خلّقا وخلّقا، صحيح أنهنَّ أبعدُ ذربة بالحرب والقتل، ﴿أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْجَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾. (سورة: الزخرف: الآية: 16). لكنهنَّ صمام أمان عند المحن، نعم! وسنرى ذلك في أحد الخندق، وضد اليهود وبقيّة المجرمين. لقد بدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوته من وسط مجتمع يعبد الوثن، ويُقدس الحجر، صحيح أنهم كانوا يُعظمون الكعبة، ويحتفظون بشيء من ذكرى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وتراث النبوة، لكن الشرك كان قد استفحل بينهم، فاضطر النبي الكريم أن يدعو سراً بدايةً، ثم جاهر بدعوته، وتحمل في الله ولله المشاق والصعاب، ورغم أنه كان في شيء من المنعة من قومه بسبب منافحة عمه أبي طالب عنه المستميتة، لكن الأذى كان يحيط بأصحابه سيما الضعفة منهم من العبيد وممن لا

ناصر له، حتى هو عليه الصلاة والسلام وصله أذى المشركين النفسي والبدني خصوصا بعد وفاة ناصره عمه أبي طالب. (عمارة سيدي محمد، 2022: 17).

ولما أذن الله تعالى بالهجرة سار الجمُع الكريم سراً وليلاً، وفي غفلات المشركين، وهم ينشدون أرضاً يعبدون فيها ربهم، ويأمنون على دينهم، ولو على حساب دنياهم، وهو ما كان. (دويدار أمين، دت: 85). واستقرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة يدعو إلى الله ويؤسس لدولة متكاملة، وعمل على تأمين الجبهة الداخلية ممثلةً في اليهود الذين كانوا يسيطرون على سوق المال والأعمال والسلاح، والإعلام؛ أعني توجيه الرأي العام ضد المسلمين، يؤازرهم في ذلك خفافيش الظلام ممن لم يدخل الإيمان قلبه من المنافقين، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلْتُمُ اللَّهَ أَيُّ يُوَفِّكُونَ﴾. (سورة: المنافقون: الآية: 4).

فأمّا اليهود فقد عمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى عقد معاهدة سلم معهم (ابن هشام عبد الملك، 1955، ج1: ص 503 – 504)، وهم الذين يرفضون الاعتراف بنبوته رغم يقينهم بها! (الجميل محمد بن فارس، 2002: 42)، وأما المنافقون فلم يزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُحسن إليهم، ويقبل منهم ظاهراً، ويكِلُ سرائرهم إلى الله، وينصحهم، ويتفادى الاصطدام بهم، ولكن قابل الأيام كشفت سوء سريرة الفريقين على المسلمين وما جرّوه من محن عليهم. (الحميدي عبد العزيز، 1989: 24).

وقُبيل أول صدام دامي بين المسلمين والمشركين غير المتوقع، انطلق النشاط العسكري للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتطويق طريق قريش الاقتصادي المار بمحاذاة المدينة، فعمد عليه الصلاة والسلام إلى عقد الصلح مع القبائل العربية المجاورة، وإرسال البعث والسرايا العسكرية المتوالية لبيسط النفوذ على الطريق، فتطيرُ الأخبار المزعجة لمشركي مكة، وما فيها من انعكاس على مواقفهم من الإسلام...إنها الحرب النفسية إذن!.

وعلى غير ميعاد ولا تكافؤ في العدة والعدد، يصطدم جيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصغير بحوالي ألف مقاتل مشرك في معركة بدر في السابع والعشرين من رمضان من السنة 2 هـ (13 مارس 624م)، ويصبر المسلمون على الحرِّ والقتال والقلّة،

ويناشد الحبيب ربه، وتنزل الملائكة، ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبُطْلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّهُ مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)﴾. (سورة: الأنفال)، ويعلو الغبار ويصطدم الشجعان من الفريقين ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾. (سورة: الأعراف: الآية: 28). وهنا تبدأ مرحلة جديدة من حياة الدعوة الإسلامية، حيث للمرأة فيها الرأي والمشورة، والمشاركة بشتى الأدوار.

وعند استقرار المصادر الشريفة التي تناولت حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يمكن تلخيص مظاهر النشاط النسوي المصاحب للعمل العسكري للمسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النقاط الآتية:

#### 1- التربية الإيمانية الصحيحة:

لما دخل الإسلام إلى المدينة لم يبق بيت إلا وصار يُعَظَّمُ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم ودينه، وانتشر الإيمان به، وتصديقه بما جاء به حيث كفرت العرب، ورمته ومن آمن معه بقوس واحدة. ومتى استقرّ اليقين بقلب الإنسان حركة لكل الطاعات مهما كان ثمنها غالياً. " لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم قدر المرأة، ومكانتها وضعفها، فلا عجب أن تتوالى وصاياها النبوية الكريمة للرجال بهنّ خيراً...". ( عمارة سيدي محمد، 2022: 37). فلا عجب أن أولئك النسوة انطلقت أرحامهن تحمل وتلد نسمات مهيئة للإيمان وللجهاد في سبيل الله تحت الحرّ والقرّ والضرّ، وتحمّل فقد رجال البيت أصولاً وفروعاً. ولنا مواقف مختارة تُصدِّق ذلك:

#### 1-1- حنان الأمّ تضبطه الشريعة:

بَدَرَ عَنْ أُمِّ ( عمرة بنت رواحة رضي الله عنها ) رفضت الموافقة على هبة أعطها زوجها لولدهما ( النعمان بن بشير رضي الله عنه )!، وكان مُبررها وجوب استفتاء الزوج للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً، وما ذاك إلا خوفاً من الله في التفرقة بين الأولاد في الهدايا والعطاء، وما يجرُّه يقيناً من الحزن لديهم، والشعور بالظلم، وما يُفضي إليه من عقوق الوالدين، والحقد على الإخوة، وقطيعة الأرحام مستقبلاً. وقد توجه الزوج الوالد



(البشير بن سعد رضي الله عنه) غير متأخر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصرحاً بوضوح: "إني أعطيت ابني من عمرة بنت ربيعة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم...". (البخاري محمد، 1422هـ، ج3: 158). فما كان إلا أن حظي هذا الولد (النعمان) بهذه التربية المتوازنة، والتي ساهمت في تكوين شخصيته السوية، فصار مجاهداً مصاحباً لركاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (العسقلاني أحمد، 1415، ج6: 347).

### 2-1- تربية المرأة بنهما على الشهادة:

وقد حصل في يوم بدر عندما أذن الله بهلاك فرعون هذه الأمة (أبو جهل)، وكان ذلك على يد شابين يافعين. زفتها التربية على حب الشهادة، لا تلوي الأم على شيء، بل شحنتها بالإيمان، والغضب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكل ذاك مُعززٌ بفورة الشباب واندفاعهم إلى الحق. يقول عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه: "بيننا أنا واقف بين الصف يوم بدر نظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، فبيننا أنا كذلك، إذ غمزني أحدهما، فقال أي عم، هل تعرف أبا جهل بن هشام، فقلت: نعم، وما حاجتك إليه، يا بن أخي، فقال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده، لو رأيته لا يفارق سوادي سواده، حتى يموت الأعجل مني، قال: فأعجبني قوله. قال: فغمزني الآخر، وقال مثلها، فلم أنشب أن رأيت أبا جهل يجول بين الناس، فقلت لهما: هذا صاحبكما الذي تسلاني عنه، فابتدراه، فضرباه بسيفهما فقتلاه، ثم أتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبراه بما صنعنا، فقال: أيكما قتله؟، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفكما؟، قلنا: لا، قال فنظر في السيفين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كلاكما قتله، ثم قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، قال، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء". (ابن بلبان علاء الدين، 1988، ج11: 172).

### 1-3- تفاني النساء في محبة النبي صلى الله عليه وسلم وفداؤهن له بالأهل:

وكان في يوم أحد من السنة 3هـ (23 مارس 625م)، حيث أصاب المسلمون، وأصاب المشركون، وتفرق الجمعان على أشلاء وجثث متناثرة، وجرح وإصابات لا سيما





في المسلمين بعد حادثة التطويق. لكن المسلمين استجمعوا بعدها عزائمهم، ولملّموا جراحاتهم، وارتفعت معنوياتهم بأخبار ترافق الشهداء إلى الجنّة، وموفور الأجر للجرحى وجهادهم. وامتثلوا أمر النبي المصّاب أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم في تجهيز الشهداء للصلاة والدفن. يُخبرُ جابر بن عبد الله أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما خرج لدفن شهداء أحد قال: " زَمُّوْهُم بِجِراحِهِمْ فَإِنِّي أَنَا الشَّهِيدُ عَلَيْهِمْ. ما من مسلم يُكَلِّمُ في سبيل الله إلّا جاء يوم القيامة يسيل دماً؛ اللون لون الزعفران، والريح ريح المسك... وكان يقول صلى الله عليه وسلم: أيُّ هؤلاء كان أكثر أخذاً للقرآن؟. فإذا أُشير له إلى الرجل قال: قَدِّمُوهُ في اللحد قبل صاحبه ". ( ابن سعد محمد، 1990، ج 3: 424).

وعاد جيش المسلمين بعد أن زُفَّ الشهداء إلى منازلهم، واستقبل النَّاس في المدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، وانطلقت الأخبار العاجلة تسري بين الحاضرين والغائبين: فلان قُتل، وفلان، وفلان...ومن بين هؤلاء المفجوعين امرأة من بني دينار، " وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعو لها، قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تُحبين، قالت: أرونيهِ حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه، حتّى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل! تريد صغيرة ". ( ابن هشام عبد الملك، 1955، ج 2: 99).

فبمثل هؤلاء النسوة انتشر الإسلام بين القلوب والصفوف، نساء صابراتٍ محتسباتٍ، " ولنا أن نتصوّر حال امرأة أصيبت كما يُقال ف مقتل بفقد الأقربين من أصل وفرع، لكنها استحضرت في بالها أنّ المصيبة بالنبيّ صلى الله عليه وسلم أعظم وأخطر، إذ أنّها إصابة للدعوة الإسلامية، بمقتل قائدها - خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام -، مع ثباتٍ إلهي لهذه المرأة التي احتسبت قتلاها في الشهداء. وأيُّ شيء يا تُرى قدّمته الكثير من النساء اليوم بُرهاناً على محبتهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم وعزفاناً... ". ( عمارة سيدي محمد، 2022: 115).

## 2- تقديم الرعاية الطبية للجرحى:

نقرأ في صفحات التاريخ أنّ نساء الصحابة رضي الله عنهم تطوعن بالخروج في ركاب الجيش السائر في الصحراء الحامية، ووديانها الخالية، بين القفار، والجوع والعطش، وقلة المركوب والزاد، وتسيّد الحرارة، وطول المسافة. إنّ هذه الظروف وحدها



كفيلة بإجبار أيّ شجاع على التقهقر والانهازم أمام الطبيعة القاسية، فكيف والعدو لم يزل بعيداً لقاؤه؟، ولا يُؤتمن جانبه من قوة السلاح، وكثرة المقاتلة، وتوفر الزادا! لكنّ نساء المسلمين واطّبن وواصلن المسير، وكُلَّهنَّ عزم على خدمة دينهن وافتكاك حريتهن ممن يريد استعبادهن واستعبادهنّ!.

## 1-2- مُداواة جِراح النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْرَكَةِ:

في يوم أحد استطاع المشركون استعادة توازنهم بعد هجمة خالد بن الوليد العكسيّة-وكان يومئذ مشركاً-، وزاد الأمر خطورةً إخلاء رُماة المسلمين لمواقعهم في الجبل مخالفين أمر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهم يرون انكسار المشركين وهروبهم على غير اتجاه واحد، لكن سرعان ما حلّت الفاجعة: "وقد اضطرب المسلمون لهذه المفاجأة، واختلّ نظامهم حتى تعرضت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم للخطر، ثم اشتدّ الخطب عندما صرّح ابن قميئة (من المشركين): "ألا إنّ محمداً قد قُتل، وتخاذل المسلمون، واستولى اليأس على قلوب فريق منهم". (حسن إبراهيم حسن، 1996، ج1: 94). (أبو هشام عبد الملك، 1955، ج2: 81 - 82).

والحقيقة أنّ مطالعة وصف المعركة والهجمة المرتدّة للمشركين يجعلنا نقف على خطورة ما تعرّض له المسلمون يومئذ، حتّى كادوا أن يُبادوا بالرعب والقتل، وانهبوا المعنويات بعد شيوخ خبر مقتل النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وثبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يزول يرمي عن قوسه حتّى صارت شظايا، ويرمي بالحجر، وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً: سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق. رضي الله عنه. وسبعة من الأنصار. حتّى تحاجزوا ونالوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجهه ما نالوا. أصيبت ربايعيته، وكلم في وجنتيه وجهته، وعلاه ابن قميئة بالسيف فضربه على شقه الأيمن. واتقاه طلحة بن عبيد الله بيده فشلت إصبعه. وادعى ابن قميئة أنه قد قتله. وكان ذلك مما رعب المسلمين وكسرهم". (ابن سعد محمد، 1990، ج2: 32). وفي رواية ابن هشام مزيد تفصيل: "...حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدتّ بالحجارة حتى وقع لشقه، فأصيبت ربايعيته، وشجّ في وجهه، وكلمت شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص... وعن أنس بن مالك، قال: كُسرَت رباعية النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد، وشجّ في وجهه، فجعل الدم يسيل على

وجبه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خَضَبُوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهيم!". (ابن هشام عبد الملك، 1955، ج2: 97-80).

في ظلِّ هذا الجوّ الحزين يبرز النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للنّاس، وتلقاه ابنته فاطمة أم الحسنين رضي الله عنهم جميعاً، وتعتنقه شوقاً وشكراً لنجاته، وحننا على إصاباته، " وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدّم فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم وله من طريق زهير بن محمد عن أبي حازم فأحرقته حتى صارت رمادا فأخذت من ذلك الرماد فوضعت فيه حتى رقأ الدم". (ابن حجر أحمد، 1379، ج7: 373).

ذلك أنّ شدة الضربات كسرت "بيضة النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه، وأدمي وجهه وكسرت رباعيته، وكان عليٌّ يخلّف بالماء في المجن، وكانت فاطمة تغسله، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة، عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرحه، فرقأ الدم". (البخاري محمد، 1422هـ، ج4: 38).

## 2-2- فتاة تبلغ الحُلْمَ مجاهدة في سبيل الله

لما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في فتح عاصمة اليهود خيبر في السنة 7هـ (ماي 628م)، حيث كان ينطلق الدّسُّ والمؤامرات وتأليب القبائل والأحزاب. سار عليه الصلاة والسلام بمن معه من المجاهدين، ولم تكن النساء لتضيع فرصة الوفود وخدمة الجنود، وشهدن رضي الله عنه خيبر، وجاءته امرأة في نسوة من بني غفار، تعرضن خدماتهن في الإسعاف والإنقاذ، وقُلن: "يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا.... فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله. قالت: فخرجنا معه، وكننُ جارية حدثة، فأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله. قالت: فو الله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح وأناخ، ونزلت عن حقيبة رحله، وإذا بها دم مبيّ، وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم، قال: مالك؟ لعلك نفسيت، قالت: قلت: نعم، قال: فأصلي من نفسك، ثم خُذي إناء من ماء، فاطرحي فيه ملحاً، ثم اغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك". (ابن هشام عبد الملك، 1955، ج2: 342). تقول هذه الشجاعة: " فلما فتح



رسول الله صلى الله عليه وسلم خير، رضح لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها، وعلقها بيده في عنقي، فو الله لا تفارقني أبدا. قالت: فكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها. قالت: وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملحاً، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت". (ابن هشام عبد الملك، 1955، ج 2: 342). فهنيئاً لها ولصويحباتها تلك السفرة الجهادية بما فيها من الفوائد الفقهية في مسائل الحيض والبلوغ.

### 2-3- نقل الماء والعناية الجنود:

تضافرت جهود نساء المسلمين بمن فيهن سيدات بيت النبوة في تحمّل عناء نقل قِرب الماء، وتقديم خدمات السقاية للجنود العطشى، ومنهم المصابون تحت أشعة الشمس الحارقة الخارقة في صحراء تموج بالقيظ! ومن هؤلاء النساء أم المؤمنين عائشة، وأم أيمن، وأم عمارة نسيبة بنت كعب، وحمنة بنت جحش، وأم سليط، وأم سليم وغيرهن رضي الله عنهن.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "لما كان يوم أحد، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ولقد رأيتُ عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم وإنيهما لمشمرتان، أرى خدماً سوقهما تنقزان القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانها في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأنها، ثم تجيئان فترغانها في أفواه القوم". (البخاري محمد، 1422هـ، ج 4: 33). وكانت حمنة بنت جحش زوجة مصعب بن عمير أحد شهداء أحد رضي الله عنه، "حضرتُ أحداً تسقي العطشى وتداوي الجرحى". (ابن سعد، 1990، ج 8: 191)، ومعها أم سليم في "يوم أحد تسقي العطشى وتداوي الجرحى". (ابن سعد محمد، 1990، ج 8: 312). وتفرغ إلى جانب السقاية حراسة المتاع، وإعداد الطعام، ومداوة الجرحى، والعناية بالمرضى، تقول أم عطية الأنصارية: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى". (ابن الحجاج مسلم، 1955، ج 3: 447). وعن الربيع بنت معوذ، قالت: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة". (البخاري محمد، 1422، ج 4: 34). وعن أنس بن مالك، قال: "كان رسول الله



صلى الله عليه وسلم يغزو بأمر سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويذاوين الجرحى". (ابن الحجاج مسلم، 1955، ج3: 443).

### 3- العناية بطعام المقاتل وراحته:

كان للمقاتلين من المدينة ومن خارجها أعمالهم وأسواقهم يعمرون بها حياتهم ومعادهم، فإذا نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتخلف أحد منهم إلا لعذر بين، أو هرباً وجُبناً وهذه خصيصة في المنافقين المندسين بينهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأْتَهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ۗ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۗ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۗ أَتَىٰ يَؤُفَكُونَ (4)﴾. (سورة: المنافقون)، وهنا سيرز مرة أخرى دور النساء في تشجيع الأزواج والأهل في عدم التخلف عن تلبية نداء الجهاد، وتقديم جميع أشكال الدعم لهم بما في ذلك العناية بالزاد من طعام وماء رغم الحرّ والجوع، والحصار وقلة ذات اليد.

### 3-1- دعم الزوج والأخ في نصرة الإسلام:

حصل موقفٌ من عمرة بنت رواحة رضي الله عنها الأم العادلة؛ إذ أرسلت مع ابنتها حفنة قليلة من تمرٍ - ولعلها كل ما تملكه يومئذ! - شفقةً بزوجها وأخيها، وهما يعملان في حفر الخندق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في السنة 5 هـ (مارس 627م)، في حرارة الصحراء التي لا سيّد عليها! والخندق وهي الحفرة العميقة طولاً وعرضاً على مسافة كبيرة، والتي أشار بها سلمان الفارسي رضي الله عنه لحماية المدينة من اقتحام قوات المشركين الضخمة، فلما "اتصل بالرسول ما عزم عليه المشركون حفر الخندق، وعمل بنفسه فيه ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون، فدأب فيه، ودأبوا، وعمل المسلمون حتى أحكموه". (حسن إبراهيم حسن، 1996، ج1: 98). ابن هشام عبد الملك، 1955، ج2: 218). ونعود إلى الأمّ والزوجة الصالحة وهي توصي ابنتها: "أيّ بنية، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمس أبي وخالي، فقال: تعالي يا بنية، ما هذا معك؟ قالت: فقلت يا رسول الله هذا تمرٌ، بعثني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغذيانه. قال: هاتيه، قالت: فنصبتة في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط



له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق: أن هلّم إلى الغداء. فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب". (ابن هشام عبد الملك، 1955: ج2: 218). فكانت معجزة يظل ورودها من جيل إلى جيل بسبب عون هذه المرأة وشفقتها بأهلها المجاهدين رضي الله عنهم.

### 3-2- الشفقة على جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم إكرامه على الناس:

يُحسبُ هذا الموقف لجابر بن عبد الله وزوجته المحتسبة يوم الخندق؛ إذ يُخبر جابراً أنه رأى علامات الجوع الشديد مرتسمة على محيا سيد الخلق، وهو يعمل بجد وكد مع الجنود والرفقاء غير متكبر ولا متأفّف، لكنه يستر جوعه فلا يُبدي حاجة، ولكنّ للجوع سلطانته الذي لا يُردّ ظهوره. فيتوجه هذا المسلم الشفيق إلى زوجة فقيرة يشكو سوء ما رآه، وقلّة ما جناه، ويستشيرها هل عندها من طعام مُدّخر ما!، فلم تتأفّف أو تتذمر، أو تتذكر سوء عيشهم وقلّة زادهم، وكثرة فاقتهم، بل هبّت بكل ما لديها، وما لديها؟، وكانت تأمل من زوجها - بسبب قلّة الطعمة تلك - ألاّ يتورط فيسمعُ دعوته غير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. قال جابر: "لما حُفر الخندق رأيتُ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً، فانكفأت إلى امرأتي، فقلتُ: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً، فأخرجتُ إليّ جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحننا الشعير، وفرغنا إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه، فجئتُه فساررتُه، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا، وطحننا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا أهل الخندق، إنّ جابراً قد صنع سورا، فعَيّ هلا بهلكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء «فجئتُ وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدّمُ الناس حتى جئتُ امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: " ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها"، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإنّ برمتنا لتغط كما هي، وإنّ عجينا ليخبز كما هو". (ابن هشام



عبد الملك، 1955، ج 5: 108). فكتب الله لهذه المرأة وزوجها شرف وأجر إطعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجنود المسلمين جميعاً.

#### 4- المشاركة في القتال الدامي:

لم يكن خروج النساء مع الجيش ومرافقته إلى ميدان المعركة من باب النزهة أو التجوال، بل لقد كانت تعلم تلك النسوة أنّهن على موعد حاسم تتخلله الجراحات البليغة، والمشاهد العنيفة التي لا قبل لضعاف القلوب بتحملها. ومع ذلك كُنَّ يتطوعن للخدمات المدنية غير ذات الطابع القتالي، ولم يخطر ببال أشجعهنّ البتة أن تجد نفسها فجأة تحمل السيف والرمح داخل المعركة، لتتحول هذه الضعيفة الكسيرة دون قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المثخن بالإصابات!، وما سينجر عنه اغتياله لو حصل من انهيار صفوف المقاتلين، وحصول الثغرات التي تفضي بالعدو إلى سحق المسلمين، فيُطبق الحصار عليهم، ويقتل قادة جيشهم، وتنتفح أمامه عورات ديار المسلمين، ومكان ضعف التغطية الأمنية، فيُفت ذلك في عضد المسلمين، ويُسبب هزيمتهم، واستئصال شأفتهم، وتضيق كل جهود الدعوة إلى الله سُدى!

#### 4-1- فدائية تُنقذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القتل:

اشتدّ الخطب بالمسلمين في أحد، وانقطعت مؤخرة الجيش عن بقية الوحدات القتالية بين فكي حصار المشركين، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نفر قليل في مؤخرة الجيش، وكان المشركون عازمون على قتله متى ما رأوه، تدفعهم حمية الجاهلية وعمى الهداية عن الجبليّة. وهنا يشاء الله تعالى أن يُكرم ذكر امرأة ما ظلّ تاريخ يروى، ويُسجّل بفخر كبير موقفها الذي لا يقل ضراوة وشجاعة. إذ وجدت (أمّ عمارة رضي الله عنها) نفسها على غير ميعاد وجهاً لوجه مع العدو، فتحمل السلاح وتدافع في قلة باقية مستبسة عن شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. غير ذات خبرة باستخدام السلاح، ولا بأساسيات الإنزال، ولم يرعها الإصابة البليغة التي لحقتها بضربات السيف، والتي ستلازمها إلى يوم وفاتها. وستظلّ هذه البطلة النسوية الحقيقية المعطوبة رضي الله عنها تحكي خبر ذلك اليوم الذي مرّ فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحرج ساعة في حياته. تقول هذه الفدائية عن طبيعة مهمتها الأساسية لما رافقت بقبّة النسوة في بداية القتال: " خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعني سقاء فيه ماء، فانهيت إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين". (أبو هشام عبد الملك، 1955، ج 2: 82). ولكن كره المشركين بعد نزول الرماة من الجبل، وإطباقهم على المسلمين من خلفهم، جعلت الأولوية القصوى هي النجاة!، وتشتت الصفوف، وانكشف الظهر، ولاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيداً في ثلة يسيرة من الأبطال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أُرِيكُمْ مَا تُجِبُونَ مِّنْكُمْ مَّن يُّرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُّرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَي الْمُؤْمِنِينَ (152)﴾ إِذْ تَصْغِدُونَ وَلَا تَلُونَ عَلَي أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَبِكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَي مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)﴾ (سورة: آل عمران).

وهنا وجدت (أمّ عمارة رضي الله عنها) نفسها تجري نحو الجناح النبويّ على غير هدى أو خطة، مخافة أن يتطرق الشرُّ إليه. فتقول: " فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقامت أباشر القتال، وأذّب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إليّ". (أبو هشام عبد الملك، 1955، ج 2: 82). وقد هالها رعبا وغيظا مقالة المجرم ابن قمنّة بين النّاس: "دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربني هذه الضربة، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان". (أبو هشام عبد الملك، 1955، ج 2: 81 – 82).

#### 2-4- تعنيفُ المقاتلين على ترك ساحة القتال:

في أحد أيضاً عمدت عمّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (صفيّة رضي الله عنها)، وكانت من اللواتي قد حضر مع المجاهدين المعركة. فلمّا رأت أثر الهجمة العكسية للمشركين، وتشتت الصفوف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانتشار شائعات اغتياله، وكثرة من سقط من الشهداء والإصابات، حتّى أنّ أخاها (حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه) قد قُتل ومُثِّل به. جاءت إلى المنهزمين عن القتال المهول، وبيدها رمح تضرب في وجوه الناس وتقول: " انهزمت عن رسول الله! فلما رآها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: يا زبير المرأة. وكان حمزة قد بُقر بطنه، فكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تراه". (ابن سعد محمد، 1990، ج 8: 34). وعبثاً حاول ابنها الزبير رضي



الله عنه اقناعها بالعدول عن الانسحاب وعدم التعرض للخطر ومشاهدة أحهما مُمثلاً به. فقال الزبير: " يا أمه إليك إليك . فقالت: تنح لا أم لك. فجاءت فنظرت إلى حمزة ". ( ابن سعد محمد، 1990، ج 8: 34 ).

#### 4-3- الإجهاز على اليهودي الجاسوس:

كان يومُ الخندق أو الأحزاب عسيراً على المسلمين، إذ هاجم المشركون المتحدون المدينة، فألفوها محصنة بالخندق، لكن ذلك لم يكن ليصمد دون حراسة، وتراشق بالنبال منعاً من محاولات اقتحام الخندق، وتسهيل المرور من خلال الثغرات نحو المدينة على قلة جيش المسلمين، وهم يومئذ في نحو ثلاثة آلاف. بينما جُلفُ المشركين في ضخامة؛ إذ كانوا في عشرة آلاف مقاتل! فلم يكن من بُد حراسة الخندق والاستماتة في إفشال كل محاولات اقتحامه ليلاً ونهاراً في البرد والقيظ والجوع. وهذا أمام القوات الضخمة التي جمعت بقيادة قريش. وبينما المدينة خالية إلا من النساء والصبيان والمعدورين، إذ نجم الغدر من يهود بني قريظة، وهم في جنوب المدينة وظهرها، حيث لا قوات تردهم، ولا جنود تردعهم، والكل عند الخندق يحرسون، ويتحملون عناء الحصار المطبق، وقيظ النهار المحرق. حينها عزم اليهود على اغتنام الفرصة في تلك الظروف الحرجة على المسلمين. فنقضوا عهدهم المبرم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلفاً، وأخلفوا ميثاقهم وسيظل ذلك تاريخهم. فلمَّا بلغت تلك الأخبار المخيفة للمسلمين وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم أصابهم الجهدُ والفرع الشديدان، ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)﴾. (سورة الأحزاب).

وكانت صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي أخت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما متحصنة يومها في بناء عالٍ مع بقية النسوة. ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم " كان إذا خرج لقتال عدوه من المدينة رفع أزواجه ونسائه في أطم حسان بن ثابت لأنه كان من أحصن أطام المدينة... فجاء يهودي فلصق بالأطم يستمع ويتخبر. فقالت صفية بنت عبد المطلب لحسان: انزل إلى هذا اليهودي فاقتله. فكأنه هاب ذلك. فأخذت عموداً فنزلت فختلته حتى فتحت الباب قليلاً



قليلاً، ثم حملت عليه فضربته بالعمود فقتلته". (ابن سعد محمد، 1990، ج 8: 34). وفي رواية ابن هشام أنها كانت "في فارح حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان. قالت صفية، فمرّ بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت. قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فانزل إليه فاقته، قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا: قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجرت، ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب". (ابن هشام عبد الملك، 1955، ج 2: 228).

#### 4-4- التآهب بالسلاح للقتال:

وكان هذا الموقف في غزوة حنين في السنة 10هـ (يناير 630م)، وبطلته امرأة حامل!، وهي (أم سليم رضي الله عنها)، وكانت ترافق زوجها في هذه المعركة التي ابتلى الله تعالى المسلمين فيها بالهزيمة أول الأمر ترسيخاً لهم أن النصر لا يكون بكثرة ولا بقلّة، وقاتلت الملائكة يومئذ. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمُ فَلَئِمَ تَغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ۗ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ - وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكُفْرِينَ ۗ (26)﴾. (سورة: التوبة).

فلما فاجأ المشركون جيش المسلمين بالهجوم، تشتت الصفوف، وانتشر الهلع. وسرعان ما نزلت سكينه ربنا سبحانه وتعالى، (فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله!" ورجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى العسكر وثاب إليه من انهزم، وثبت معه يومئذ العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وبربيعة



ابن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر وعمر، وأسامة بن زيد في أناس من أهل بيته وأصحابه . وجعل يقول للعباس : " ناد يا معشر الأنصار! يا أصحاب السمرة! يا أصحاب سورة البقرة! ". فنأدى . وكان صيِّتاً . فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها يقولون: يا لبيك يا لبيك!، فحملوا على المشركين، فأشرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى قتالهم، فقال: " الآن حمي الوطيس! أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب! ". ثم قال للعباس بن عبد المطلب: " ناولني حصيات ". فناولته حصيات من الأرض ثم قال : " شأهت الوجوه! "، ورمى بها وجوه المشركين، وقال: " انهزموا ورب الكعبة! "، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وانهمزموا لا يلوي أحد منهم على أحد. فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقتل من قدر عليه. فحنق المسلمون عليهم يقتلونهم حتى قتلوا الذرية. فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنهى عن قتل الذرية. وكان سيماء الملائكة يوم حنين. عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم". ( ابن سعد محمد، 1990، ج:2:115).

وفي أثناء هذه الوقائع المتتالية التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أمّ سليم رضي الله عنها برفقة زوجها أبي طلحة أحد أبطال المسلمين، وقد خرجت رضي الله عنها متأهبة للقتال في لباسها وسلاحها، على غير عادة نفسية المرأة وضعفها وخوفها من رؤية الدماء فضلاً عن إراقتها بيدها!، وفوق ذلك كله حالتها الصحية كونها حاملاً. خرجت هذه المرأة " حازمةً وسطها ببرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خشيت أن يعزها الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أم سليم؟. قلت: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو يكفي الله يا أم سليم ؟ قال ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته، إن دنأني أحد من المشركين بعجته به قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميماء ". ( ابن هشام عبد الملك، 1955، ج:2:446 – 447 )

5- الانعكاسات الإيجابية للنشاط النسوي على الدعوة إلى الله:

لم يقتصر نشاط النساء على الخروج الشجاع لساحات الوغى، ومداواة الجرحى، وسقاية العطشى. بل ولا بالقتال وهو شغل شجعان الرجال. بل تعداه إلى



مؤازرة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، وتقديم النصح له والمشورة في سياسة الناس خصوصاً زمن الحروب والتوازل.

- تقديم الرأي السديد للنبي صلى الله عليه وسلم:

كان للنساء زمن النبوة حكمةً نفعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إصلاح الخلل الذي يظهر على المسلمين، وقد يُهدد استقامتهم وتماسكهم أمام عدوهم المترصّ. ولدينا هنا موقف صلح الحديبية الدقيق في السنة 6هـ (مارس 628م)، والناس قد انهارت عزائم الكثير منهم، بعد أن كانوا خارجين للعمرة برؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (البخاري محمد، 1422هـ: 193) وفجأة يأتي أمره لهم بأن يحلوا ويحلقوا، فلا عمرة اليوم! وكان ذلك عقب مفاوضات قريش له، والتي ظهر فيها تعالي المشركين، والنبي المبتهل صابر صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تكن أول مرة، ﴿وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّجِدِينَ (98) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)﴾. (سورة: الحجر).

فيتأخر المسلمون عن تطبيق الأمر النبوي لا معصية بقدر ما كان انتظاراً لوجي جديد قد ينزل ويُغير الأمر الأول، فضلاً عن الحزن العميق الذي فتت أكبادهم، وقد قطعوا آلاف الكلومترات في شمس حارقة، وسبيل في الرمال غارقة، وحيم ملكة، وعشقم للكعبة يسبقهم هناك! بينما يصدّمهم المشركون ليُفيقوا من حلم لم يكن قد بقي على تحقيقه إلا مسافة قليلة. وهنا يدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على زوجته أم سلمة رضي الله عنها حزناً، وهي " التي تميزت بحصافة العقل وسداد الرأي حين استشارها الرسول صلى الله عليه وسلم ". (العتيبي حصة، 2017: 487). فلما استوعبت الموقف أشارت عليه أن يخرج إلى المسلمين، ولا يكلم أحداً منهم، ويُباشِر الحلق والتحلل لنفسه، حتى يتيقنوا رضي الله عنهم أن هذا هو الأمر الإلهي النهائي، وسيحدث الله ما يشاء بحكمته زمناً آخر. فما كانت النتيجة؟. " لما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً "، (البخاري محمد، 1422هـ: 193). وعند ابن إسحاق: " فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر، وحلق توابثوا ينحرون، ويحلقون ". (ابن هشام عبد الملك، 1955، ج 2: 319).

-خاتمة:

يتبين لنا في نهاية هذه الورقة البحثية مدى الحاجة إلى الاهتمام بموضوع المرأة في الإسلام، وضرورة إظهار قيمتها الفعلية في مجتمع الدولة الإسلامية خصوصاً زمن النبوة، وهو زمن نزول الوحي وحصول التشريعات. وأودّ تسجيل أبرز النتائج التي وصلت إليها:

- الشجاعة التي تميزت بها النساء زمن النبوة رضي الله عنهن، والجرأة على مواجهة الأخطار، وكيف لم تتردد إحداهنّ في مواجهة مختلف الأخطار في ساحات القتال بالقتل والجرح والاختطاف، أو خارجها بفقد الأصل والفرع من الأهل.

- تنوع الأدوار النسائية في العمليات العسكرية بين عناية بالجرحي، والعناية بالمقاتل في عقيدته وطعامه وشرابه، وقد تتطور الأمور دون تخطيط فتقاتلن في الصفّ ضدّ الأعداء.

- الصدق الذي أظهرته النساء زمن النبوة رضي الله عنهنّ مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

- بطلان دعوى انتشار الإسلام بالسيف، إذ كان المسلمون مدافعين لا مهاجمين غالب الوقت.

- بيان زيف ادعاءات الحركات النسوية بظلم الإسلام للمرأة، وتمييزه لها، وعدم مساواتها بالرجال، والسيرة النبوية تبين كيف كان للمرأة المجال مفتوحاً لإثبات ذاتها وشخصيتها. - محبة النساء زمن النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم، وافتدائهنّ له، ولدينه بكل شيء حتى النفس والأهل والولد.

- تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، وحسن عشرته للنساء، وعدم التكبر عن استشارة العاقلة في أمور الدولة والمسلمين.

#### -قائمة المصادر والمراجع:

- 1- البخاري محمد، (1422هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير، ط1، بيروت: دار طوق النجاة.
- 2- إبراهيم حسن حسن، (1416 هـ، 1996م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، بيروت: دار الجيل.

- 3- ابن بلبان علي، (1408 هـ - 1988 م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ط1، المحقق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 4- الترمذي محمد، (1422 هـ - 2001 م)، الشمائل المحمدية ومعه المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية، المحقق: محمد عوامة، ط1.
- 5- الجميل محمد بن فارس، (1422 - 2002)، النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة، ط1، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- 6- ابن حنبل أحمد، (1421 هـ - 2001 م)، مسند الإمام أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 7- الحُميدي عبد العزيز، (1409 - 1989)، المنافقون في القرآن الكريم، ط1، الرياض: دار كنوز اشبيلية للنشر والتوزيع.
- 8- دويدار أمين، (دت)، الهجرة إلى المدينة المنورة، دط، مصر: دار المعارف.
- 9- ابن سعد محمد، (1410 هـ - 1990 م)، كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 10- الصالح صبيح، (1978)، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط4، بيروت: دار الملايين.
- 11- العتيبي حصة، (2017)، «الدور الحضاري للمرأة المسلمة في العهد النبوي والراشدي»، مجلة بحوث الشرق الأوسط، 5 (41)، ص ص 477 - 516.
- 12- العسقلاني أحمد، (1415 هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 13- العسقلاني أحمد، (1379 هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، بيروت: دار المعرفة.
- 14- عمارة سيدي محمد، (2022)، ثلاثية في التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1، قسنطينة: دار ألفا للوثائق.
- 15- ابن كثير إسماعيل، (1388 هـ - 1968 م)، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط1، القاهرة: مطبعة دار التأليف.
- 16- المباركفوري صفي الرحمان، (1442 هـ - 2003 م)، الرحيق المختوم، ط1، بيروت: دار الفكر.



- 17- مسلم ابن الحجاج، (1955)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- 18- ابن هشام عبد الملك، (1375 هـ – 1955 م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلي، ط2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده.